واعلم أن التعريف في قوله (الفحشاء والمنكر) تعريف الجنس فكلما تذكر المصلي عند صلاته عظمة ربه ووجوب طاعته وذكر ما قد يفعله من الفحشاء والمنكر كانت صلاته حينئذ قد نهته عن بعض أفراد الفحشاء والمنكر .

والفحشاء : اسم للفاحشة والفحش : تجاوز الحد المقبول . فالمراد من الفاحشة : الفعلة المتجاوزة ما يقبل بين الناس . وتقدم في قوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء) في سورة البقرة . والمقصود هنا من الفاحشة : تجاوز الحد المأذون فيه شرعا من القول والفعل وبالمنكر : ما ينكره ولا يرضى بوقوعه .

وكأن الجمع بين الفاحشة والمنكر منظور فيه إلى اختلاف جهة ذمه والنهي عنه .

وقوله (ولذكر ا أكبر) يجوز أن يكون عطفا على جملة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فيكون عطف علة على علة ويكون المراد بذكر ا هو الصلاة كما في قوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر ا) أي صلاة الجمعة . ويكون العدول عن لفظ الصلاة الذي هو كالاسم لها إلى التعبير عنها بطريق الإضافة للإيماء إلى تعليل أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أي إنما كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر لأنها ذكر ا وذكر ا أمر كبير فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة مقصود به قوة الوصف كما في قولنا : ا أكبر لا تريد أنه أكبر من كبير آخر .

ويجوز أن يكون عطفا على جملة (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) . والمعنى : واذكر ا فإن ذكر ا أمر عظيم فيصح أن يكون المراد من الذكر تذكر عظمة ا تعالى . ويجوز أن يكون المراد ذكر ا باللسان ليعم ذكر ا في الصلاة وغيرها . واسم التفضيل أيضا مسلوب المفاضلة ويكون في معنى قول معاذ بن جبل " ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب ا من ذكر ا " .

ويجوز أن يكون المراد بالذكر تذكر ما أمر ا به ونهى عنه أي مراقبة ا تعالى وحذر غضبه فالتفضيل على بابه أي ولذكر ا أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة في ذلك النهي وذلك لإمكان تكرار هذا الذكر أكثر من تكرر الصلاة فيكون قريبا من قول عمر Bه : أفضل من شكر ا باللسان ذكر ا عند أمره ونهيه .

أمر وأراد A رسوله أمر فلما . واحد وبأنه بوجوده الإيمان هو ا ذكر : تقول أن ولك A E المؤمنين بعملين عظيمين من البر أردفه بأن الإيمان با هو أعظم من ذلك إذ هو الأصل كقوله تعالى (فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين أمنوا) . وذلك من رد العجز على الصدر عاد به إلى تعظيم أمر التوحيد وتفظيع

الشرك من قوله (إن ا يعلم ما تدعون من دونه من شيء) إلى هنا .

وقوله (وا يعلم ما تصنعون) تذييل لما قبله وهو وعد ووعيد باعتبار ما اشتمل عليه قوله (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة) وقوله (تنهى عن الفحشاء والمنكر) . والصنع : العمل .

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون [46]) عطف على جملة (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) الآية باعتبار ما تستلزمه تلك من متاركة المشركين والكف عن مجادلتهم بعد قوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) كما تقدم آنفا . وقد كانت هذه توطئة لما سيحدث من الدعوة في المدينة بعد هجرة النبي صلى ا عليه وسلم لأن مجادلة أهل الكتاب لا تعرض للنبي صلى ا عليه وسلم ولا للمؤمنين في مكة ولكن لما كان النبي E في إبان نزول أواخر هذه السورة على وشك الهجرة إلى المدينة وكانت الآيات السابقة مجادلة للمشركين غليظة عليهم من تمثيل حالهم بحال العنكبوت وقوله (وما يعقلها إلا العالمون) هيأ ا لرسوله E طريقة مجادلة أهل الكتاب . فهذه الآية معترضة بين محاجة المشركين والعود إليها في قوله تعالى (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) الآيات .

وجيء في النهي بصيغة الجمع ليعم النبي صلى ا عليه وسلم والمسلمين إذ قد تعرض للمسلمين مجادلات مع أهل الكتاب في غير حضرة النبي صلى ا عليه وسلم أو قبل قدومه المدينة